



لما خرج الشعب السوري في آذار 2011 ، كان يطالب بالحرية التي هي من أول حقوقه ! و كان خروجه عفويًا لم يعد له العدة من قبل ، وإن كانت بوادر الثورة تلوح في الأفق بعد تراكم طويل و ثقيل من ممارسات النظام ، و معاناة الجماهير و لكن الله سبحانه أراد شيئاً آخر ، أراد لهؤلاء المطالبين بالحرية بداية تحول في سوريا و ما حولها ! وهي صورة تشبه ما حدث للمسلمين في غزوة بدر ، حين خرجوها لاعتراف القافلة تعويضاً لما فقدوه في مكة .

إلا أن الله تعالى - كما يقول صاحب الظلال سيد شهداء العصر:

أراد أن تكون ملحمة لا غنية ، وأن تكون موقعة بين الحق و الباطل ؛ فكان اختبار الله لهم غير ما أرادوا و خرجوها لأجله " و يضيف : " فـأين ما أرادته العصبة المسلمة لنفسها مما أراده الله لها ؟

لقد كانت تمضي - لو كانت لهم غير ذات الشوكة - قصة غنية . قصة قوم أغاروا على قافلة فغنموها ! فأما بدر فقد مضت في التاريخ كله قصة عقيدة ، قصة نصر حاسم و فرقان بين الحق و الباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح المزودين بكل زاد

أما و قد فرت القافلة فقد قدر قدر الله أن يلقوا الطائفة الأخرى ، و قدر أنها ستكون لهم، كانت ما كانت، كانت العبر أو كانت النفيـر كانت الـضعـيفـةـ التي لا شـوـكـةـ لهاـ أمـ كانتـ القـوـيـةـ ذاتـ الشـوـكـةـ وـ المـنـعـةـ [وـ إـذـ يـعـدـكـ اللهـ إـحـدـىـ الطـائـفـتـيـنـ أـنـهـ لـكـمـ ، وـ تـوـدـونـ أـنـ غـيـرـ ذاتـ الشـوـكـةـ تـكـوـنـ لـكـمـ]ـ هـذـاـ مـاـ أـرـادـهـ العـصـبـةـ الـمـسـلـمـةـ لـأـنـفـسـهـاـ يـوـمـذـاكـ ،ـ أـمـاـ مـاـ أـرـادـهـ اللهـ لـهـمـ ،ـ وـ بـهـمـ ،ـ فـكـانـ

أـمـرـاـ آـخـرـ [ـ وـ يـرـيدـ اللهـ أـنـ يـحـقـ الـحـقـ بـكـلـمـاتـهـ وـ يـقـطـعـ دـاـبـرـ الـكـافـرـينـ لـيـحـقـ الـحـقـ وـ يـبـطـلـ الـبـاطـلـ وـ لـوـ كـرـهـ الـمـجـرـمـونـ]ـ

و هكذا و على الطريق نفسه تمضي الثورة في سوريا !

فالحرية على أهميتها كان يمكن أن تناول كما في ثورات الربيع العربي ، ولكن تقدير الله – أراد أن تطول هذه المعركة ، ليحيى من حي عن بيته ، و يهلك من هلك عن بيته ، فمتي كانت تلك النفوس التي وقفت مع الطاغية متى كانت ستكتشف ؟ و أين كانت ستتعرى ؟

ففي زمن المعركة الذي طال ، و على أرض الواقع الذي توضحت فيه الحقائق لكل مصر ، انكشف هؤلاء بدءاً من معممين لم يكونوا إلا سلة معلومات ، إلى من يزعمون أنهم نخب تتجذر بالمبادئ و المواقف ، إلى عامة لم يكونوا شيئاً مذكوراً إلى ... إلى .. فإذا هم قطاعان مفوضحة مكشوفة تندرج جميعها تحت مسمى (الشبيحة) أعمى الله قلوبهم ، فلم ينتفعوا ببصر العينين .

كانت بدر نقطة تحول لا في حياة العرب آنذاك ، بل في حياة البشرية !

فماذا لو غنم المسلمون القافلة ، أو ماذا لو سُحقت تلك الفتنة المؤمنة تحت سنابك خيول الجahلية ؟
ولكن الله أراد أمراً آخر فكانت فرقاناً بين الحق والباطل !

و ماذا لو أن تلك الانتفاضة حصلت على حريتها بجهد يسير و وقت قصير ، أو لو أنها سُحقت تحت عجلات دبابات النظام و وحشة ؟!

ولكنها إرادة الله ، فقد حققت الثورة السورية الكثير و الكثير ، و ستكون إلينا – بعون الله و توفيقه – لتحول كبير يشمل سوريا و المنطقة المحيطة بها و البعيدة عنها

و بمقارنة بين الجهاد في أفغانستان بعد احتلال الروس لها و بين الثورة السورية تستوقفنا ثلاثة نتائج كان المفكر محمد قطب قد أشار إليها في كتابه (الجهاد الأفغاني و دلالاته) المطبوع عام 1989 في جدة ، و قبل انهيار المنظومة الشيوعية و دولها المتهاكة .

أولاًها : أن الجهاد الأفغاني قد كسر حاجز الرهبة من الوحوش الضاربة التي تسمى نفسها (الدول العظمى)

و ثانيةها : أنه كان نقطة تحول تاريخية وفق الإرادة الإلهية على يد فتية آمنوا بربهم ، و زادهم هدى ، و ربط على قلوبهم ، لينظرون – سبحانه – الحق على أيديهم و يجعلهم برهاناً لآياته . فكم ضال نزع عن ضلالته ، و متسلك ابتعد و أقصر عن شكه !؟

وثالثها : تأثير هذا الجهاد على المسلمين الروس ، و خشية الشيوعية أن تنتقل العدو إلى باقي المسلمين سواء في الاتحاد السوفييتي آنذاك أم غيره و قد كان !!

ورابعها : أن الأمة غدت هي التي تجاهد ، لا جماعات منعزلة عن جسمها ، أو منفصلة عنها
و قد تحقق بفضل الله للثورة السورية كثير من هذه النتائج :

فلم يعد حاجز الخوف قائماً ، و قد كسرته الإرادة الشعبية !!

و ظهر للعيان أن انتصار الثورة في سوريا سيكون نقطة تحول تاريخية ! فقد برزت العودة إلى الله من خلال سلوكيات الشعب المُغيَّب عن الإسلام و المُحارب بعقيدت ، و من خلال الشعارات المرفوعة التي تعزز بدينها و رسولها ، و من خلال الفتية الذين أذهلوا العالم ببطولاتهم و إيمانهم و صبرهم

كما برب حجم خوف الأنظمة القمعية عربياً و عالمياً من انتقال عدو النهوض الشعبي في دولها و قد صرَّح مسؤول روسي أن نجاح الثورة السورية سيكون مؤثراً في الشيشان و القوقاز .

كما غدا انخرط الأمة في الجهاد و المقاومة مَعْلماً بارزاً بعد أن كان محصوراً في نخبة ، أراد المجرم الأَب حافظ الأسد أن

يستدرجها و يجرها بعيدا عن أعين الأحرار و بتعطية من أسياده على جرائمه كما حصل في الثمانينيات في عموم سورية و في حماة بالذات .

فالليوم أصبح الشعب السوري كله إلا زمرا تقاتل مع الجلاد ستنتهي معه بإذن الله ، أصبح هذا الشعب بريفه و مدنه ، و مثقفيه و عامته ، برجاته و نسائه ، بعسكريه و مدنيه منخرطا في جبهة البيان المرصوص ، لينطلق كل فرد منه ، فيعمل بحسب موقعه ، و وجوههم جميعاً متوجهة نحو هدف واحد: رضا الله تعالى و إسقاط النظام.

المصدر: رابطة أدباء الشام

المصادر: